The Justinian Plague and its Effects on the State and Society of the Byzantine Empire

Mousa Rajab Abd Al- Hai

Abstract

This study aims to determine The nature of the epidemic that broke out in the Byzantine Empire in the year 541 AD. Especially numbers of deaths and its effects on the state and society. A dispute has arisen among researchers over many issues related to this epidemic, such as its origin, spread, diagnosis of symptoms, number of deaths, and its effects on the state and society. This study proved that India is the original origin of the plague of Justinian that was its first appearance in Egypt, then spread to almost all the globe through merchant ships. The plague had serious effects on the empire, the trade movement was disrupted, the financial resources shortened, and agriculture destroyed due to the lack of manpower, and all of this led to high prices, so Emperor Justinian was forced to increase taxes on the population. Some believe that the plague facilitated the spread of Islam, but this is not true. Because of this epidemic, myths, heresy, looting and robbery were widespread in byzantine society.

طاعون جستنيان (541-543م) وآثاره على الدولة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية

موسى رجب عبد المجيد عبد الحي

جمهورية مصر العربية

الملخص

يهدف البحث إلى الكشف عن طبيعة الوباء الذي اندلع في الإمبراطورية البيزنطية عام **541**م، وحقيقة وفياته وتأثيراته على الدولة والمجتمع. وقد ظهر خلاف بين الباحثين حول مسائل كثيرة تتعلق بهذا الوباء؛ مثل: منشئه، وانتشاره، وتشخيص أعراضه، وعدد الوفيات، وتأثيراته. وقد ثبت أن الهند هي المنشأ الأصلي لطاعون جستنيان، وأول ظهور له كان في مصر، ثم انتشر لكل الأرض المعمورة تقريباً عبر السفن التجارية التي حملت الجرذ الأسود الحامل للمرض، وقد سبب الوباء عدداً هائلاً من الوفيات. وأحدث الطاعون تأثيرات خطيرة على الإمبراطورية؛ فقد تعطلت حركة التجارة، ونقصت الموارد المالية، ودمرت الزراعة؛ بسبب نقص الأيدي العاملة، وقد أدي كل هذا إلى ارتفاع الأسعار؛ لذلك اضطر الإمبراطور جستنيان إلى زيادة فرض الضرائب على السكان. ويعتقد البعض أن الطاعون سهل انتشار الإسلام، ولكن هذا غير صحيح. وقد خيم الوباء بآثاره على المجتمع البيزنطي؛ حيث انتشرت الخرافات والزندقة، كما انتشر النهب والسرقة بين الناس. ومازال هناك ضرورة للقيام بتنقيبات أثرية عن مخلفات طاعون جستنيان في مصر وخاصة البلوزيوم حيث انتشر الوباء.

الكلمات المفتاحية: طاعون، وباء، جستنيان، بيزنطة، بيزنطية، مصر، الإسلام، الموت، الزراعة، العملة، الخرافات، الزندقة، السرقة، الجيش، الأسعار، الأسواق.

ما الطاعون؟

للطاعون ثلاثة أشكال، وهي: الطاعون الدبلي Bubonic، وطاعون تسمم الدم Septicemic، وطاعون ذات الرئة Pneumonic. ويتمركز النوع الأول من الطاعون في الجهاز اللمفاوي، مسبباً عقداً لمفاوية متورمة، والثاني يحدث عند دخول البكتريا إلى مجرى الدم، وأما النوع الثالث فيحدث عندما تدخل البكتريا للرئة وينتشر هذا النوع عن طريق القطرات الملوثة التي تخرج من المريض عند السعال [1].

وينتقل الطاعون إلى الإنسان من الجرذان المصابة عبر عضة البراغيث التي تحملها تلك الجرذان، فتنتقل بكتريا يرسينيا بستس Yersinia Pestis[2] المسببة للطاعون إلى الإنسان[3]. وتبدأ أعراض الإصابة بعد يومين إلى خمسة أيام، وتتمثل في: حمى مفاجئة، وارتعاش، وتشنجات، وصداع حاد يتبعه ورم لمفاوي شكله ناعم وبيضاوي ولونه أحمر، مع أورام مؤلمة جداً في الآباط والأربية والرقبة[4]. ويؤدي التخثر إلى نزيف في الجلد، ويؤدي انسداد الأوعية الدموية الصغيرة إلى الغرغرينا، وقد تنتشر البكتريا خلال مجرى الدم إلى الرئتين مسببة ضيق تنفس، ولعاباً مختلطاً بالدم[5]. ولكون البشر لديهم دفاعات ضعيفة ضد هذه البكتيريا، فإنه يموت في المتوسط نحو ستين بالمائة من المصابين خلال أسبوع واحد فقط[6]. وقد تصل معدلات الوفيات في الطاعون الرئوي إلى مائة بالمائة من عدد الإصابات[7].

وقد ظهر مرض الطاعون بصورة خطيرة لأول مرة في الإمبراطورية البيزنطية في عام 541م، وهو ما عرف بطاعون جستنيان، ثم ظهر في موجات تالية متباعدة في التاريخ البيزنطي.

طاعون جستنيان (541-543م)

ظهور الوباء وانتشاره

ظهر خلاف بين المؤرخين البيزنطيين حول بداية ظهور الوباء؛ فقد ذكر المؤرخ بروكوبيوس القيساري Procopius of Caesarea أن الوباء بدأ من البلوزيوم Pelusium[8]

في مصر في عام 541م[9]، بينما ذكر آخرين، مثل: إفاجريوس وزكريا ريتور (الفصيح) ويعقوب الرهاوي وميخائيل السرياني، أنه بدأ من إثيوبيا[10]. وفي موضع آخر ذكر ميخائيل السرياني أن الوباء بدأ من شعوب شرقي الهند واليمن وبلاد حمير[11].

وقد أدى ذلك التضارب في أقوال المؤرخين حول منشأ الوباء إلى ظهور اختلاف شديد وسجالات بحثية بين المؤرخين المحدثين؛ فرفض بعضهم مقولة إفاجريوس متهمين إياه بتبني الفكر النمطي ضد إثيوبيا، الذي انتشر في العصور القديمة، باتهامها أنها منبع كل الأمراض[12]. واتجه البعض الآخر إلى القول: إن الوباء نشأ في كل من وسط إفريقيا وشرقها والهند، حيث انتقل الجرذ الأسود من هناك عبر السفن التي كانت تعبر المحيط الهندي والبحر الأحمر إلى مصر[13]، وخاصة مع النمو الكبير في تجارة البحر الأحمر بعد احتلال الإثيوبيين لليمن عام 525م[14].

ومع تلك الحالة من النزاع بين الباحثين، يبدو أنه من الجيد الاعتماد على بيانات علماء الأوبئة الذين يرون أن معظم بؤر نشاط الطاعون عبر التاريخ موجودة في سفوح جبال الهيمالايا Himalayas، بين الصين والهند، وفى المناطق المجاورة للبحيرات الكبرى في وسط إفريقيا، وفى المناطق التي تنتشر عبر السهوب الأوراسية من منشوريا Manchuria إلى أوكرانيا Ukraine[15].

وبناء على ذلك فإن طاعون جستنيان قد أتى من إحدى هذه البؤر الثلاث، ولكن في البداية ربما من المعقول استبعاد حوض السهوب الأوراسية؛ حيث لا يوجد دليل على اندلاع الطاعون في تلك المناطق خلال تلك الفترة، إلا أن أصابع الاتهام تتجه إلى الهند بكونها منشأ ذلك الطاعون، وذلك استناداً لقرينة مؤكدة، وهي زيادة النشاط التجاري الكبير بين الهند والدولة البيزنطية والشرق وبخاصة مصر في أوائل القرن السادس الميلادي؛ حيث يصف كوزماس إنديكوبليوستيس Cosmas Indicopleustes صاحب كتاب الطبوغرافيا المسيحية جزيرة تابروباني Taprobane (سريلانكا) بأنها مركز تجاري وحلقة وصل بين الهند وبلاد فارس وإفريقيا والصين، وعلى الرغم من أن المؤلف لم يذكر مصر في قائمة الدول المتاجرة مع تابروبانى، فإنه أشار إلى أن صديقاً له من الإسكندرية

يدعى سوباتروس Sopatrus قد ذهب إلى هناك للتجارة قبل 35 عاماً [16]، وهذا يدل على أن مصر كانت تتاجر مع تلك الجزيرة، وعلى هذا فمن المرجح أن الطاعون قد انتقل من الهند عبر تابروباني إلى مصر، التي كانت بالفعل أول ولاية قد ظهر فيها الطاعون.

وقد ظهرت دراسة علمية حديثة، قام بها عدد من علماء الأحياء عن طريق تحليل الحمض النووي لعينات هياكل عظمية تعود إلى لقرن السادس، وجدوا فيها حمضاً نووياً لبكتريا تعود سلالتها إلى آسيا، وهذا أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه المناطق هي المنشأ الجغرافي لطاعون جستنيان[17]، ومن المرجح أنه أتى من الهند تحديداً وبخاصة مع دليل زيادة النشاط التجاري الذي ذكرناه آنفاً.

على أية حال، انتشر الوباء من البلوزيوم نحو الإسكندرية، ثم عم مصر بكاملها[18]، وغزة Gaza، وعسقلان Ashkelon، ثم اجتاح فلسطين بالكامل مع مطلع عام 542م، فهجرها أهلها تماماً[19]. ثم وصل الوباء إلى أنطاكية[20]، وحمص Emesa في العام نفسه[21].

وأصبحت القسطنطينية على موعدها مع الوباء القاتل الذي وصلها بحلول منتصف الربيع من عام 542م[22]، ثم ضرب "سيكون" Sykeon[23]، وأصاب بها القديس الشهير ثيودور السيكوني Theodore of Sykeon (ت 613م) عندما كان صغيراً[24]. وقد وصل الطاعون في العام نفسه إلى مدينة تونونا Tunnuna (تونس الحديثة)[25]، ثم زحف نحو ليبيا، ووصل فونيقيا Phoenicia، وبلاد العرب، وصقلية[26].

ومع حلول عام 543 م وصل إيطاليا، وإليريكوم[27]، ومنها زحف نحو بلاد الغال Gaul[28]، ثم ضرب جالاتيا Galatia، وكبادوكيا Cappadocia، وأرمينيا Armenia، وأوزورين Osrhoene، وبلاد ما بين النهرين، وبلاد فارس[29].

وهناك بعض النقوش، وبخاصةً من فلسطين وبلاد العرب وسوريا، قد تؤيد تقدم الطاعون فيها، فقد وُجد نقش باللغة اليونانية من سطرين على الواجهة الجنوبية لكنيسة النبي إلياس Elias موضوعاً من قِبل شيوخ مدينة "زورا" Zora العربية بجنوب غرب سوريا عام 543/ 542م، وفيه يذكرون اسم أسقفهم فاروس Varos، وأنه مات من ورم

في الأربية وفي الآباط[30].

أخذ الطاعون في الانتشار عبر عالم البحر المتوسط ومعظم الشرق خلال عامين فقط، ثم تراجع بعد ذلك فجأة بشكل غامض، ربما على الأقل من إمبراطورية جستنيان. ولكنه وصل إلى أيرلندا Ireland في عام 545م، وربما فنلندا Finland[31]، ثم انتشر إلى الدنمارك، وويلز في عام 547م[32].

أوصاف الوباء وتشخيصه

ذكر المؤرخون البيزنطيون عدة أوصاف للوباء، تشابه بعضها واختلف الآخر، إلا أن أغلب هؤلاء المؤرخين كانوا شاهدي عيان لأوصاف الوباء. فقد ذكروا أن الوباء اجتاح العالم بأكمله، في كل فصول السنة، فلم يمنعه حر الصيف أو برودة الشتاء[33]. وكان ينتشر أكثر في أوقات معينة، ويتباطأ في أخرى، وكان من يصيبه المرض ويشفي يحصل على حصانة منه، فلا يصيبه مرة أخرى، كما أن المرض كان يبدأ انتشاره من الساحل دائماً إلى داخل المدينة[34].

وقد سبق الإصابة بالمرض هلوسات بصرية؛ فرأى بعض المصابين كائنات شيطانية في شكل آدمي، وكانوا يسمعون هاتفاً يهتف لهم أنهم سيموتون لا محالة[35]، وبعض الناس كان يصور له أنه يري ليلاً مراكب برونزية داخلها بحارة سود مقطوعو الرؤوس، ممسكين بعصي برونزية[36].

وظهرت عدة أعراض سريرية على المرضي؛ ففي البداية هاجمتهم حمى مفاجئة طفيفة ثم ما لبثت أن اشتدت[37]. ثم ظهرت أورام في مناطق الغدد اللمفاوية، مثل: الأربية[38]، وتحت الفم، وتحت الإبط، وفي بعض الحالات ظهر الورم بجانب الأذن، وفي مواضع مختلفة على الأفخاذ[39]، ثم يموت المصابون بعد يومين أو ثلاثة من تلك الأعراض[40].

وأصيب البعض بغيبوبة عميقة، والبعض حدث معهم هذيان عنيف، وعانوا من الأرق، وأصبحوا يتوهمون أن هناك رجالاً يريدون إهلاكهم[41]، فكانوا يهرعون خارج

البيوت محاولين رمي أنفسهم في البحر، لولا أن وجدوا من يمنعهم، ولم يكن بعضهم محظوظاً؛ إذ نجحوا في قتل أنفسهم[42].

وقد أورد إفاجريوس أعراضاً أخرى؛ فذكر أن العيون كانت محتقنة والوجه كان منتفخاً، وحدث إسهال مع البعض[43]، وقد أصيب آخرون ببثرات سوداء تشبه العدس انتشرت على جلودهم[44]، وظهرت على راحة اليد[45]، كما كان يحدث تقيؤ للدم، وهي علامات تنذر بقرب هلاك المريض[46].

وعلى الرغم من تلك الأعراض المميتة فإن بعض الناس قد شفي بمجرد الاستحمام، والبعض لم يشف، وشفى آخرون دون سبب واضح. وفي بعض الحالات تعافى الناس بعد أن تعفنت أورامهم وأطلقت قيحاً، وقد أثار كل هذا دهشة الأطباء. ولوحظ على أولئك الذين تعافوا أنهم صاروا يتلعثمون في الكلام، وهذا يدل على تضرر ألسنتهم من جراء الورم، ومنهم من حدث له ضمور في الفخذ[47].

وإذا أردنا تشخيص المرض بناء على الأعراض السابقة التي ذكرها المؤرخون المعاصرون، نجد أنها كانت أعراضاً شبيهة بأعراض الطاعون الدبلي؛ مثل: انتفاخ وتورم وألم حاد في الغدد اللمفاوية، وفي الأربية، والإبط، أو الرقبة، مصحوبة بحمى، وارتجاف، وصداع [48]. كما أن هناك إشارات عن الهلوسة أصابت الناس، يبدو أنها حالة من تسمم النظام العصبي، نتيجة لانتشار بكتريا "يرسينيا بستس" في الدم[49].

وعلى الرغم من أن الأعراض تشير إلى الطاعون، فإن البعض قد شكك في أنه كان طاعوناً دبلياً، ولم تسببه بكتريا "يرسينيا بستس"، ولكن أثبتت دراسة علمية حديثة العكس، قام بها عدد من علماء الأحياء بتحليل الحمض النووي DNA لعينات هياكل عظمية تعود إلى القرن السادس الميلادي في ألمانيا، فوجدوا فيها الحمض النووي لبكتريا "يرسينيا بستس". وهذا بدوره يؤكد أن وباء عام 542م كان طاعوناً دبلياً[50].

وقد ظهرت مؤخراً دراسة نشرتها مجلة "لانست" Lancet الطبية البريطانية، أعدها فريق من متخصصي علم الأوبئة، قاموا بأخذ عينات من أسنان جثتين من مقبرة أشهايم Aschheim في بافاريا Bavaria بألمانيا كانتا ضحيتين لطاعون جستنيان، ومقارنتها

مع قاعدة بيانات الجينوم genomes لـ 131 سلالة من بكتريا "يرسينا بستس" من أوبئة طواعين لاحقة، مثل: الموت الأسود (القرن 14–17م)، وطواعين القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، وقد تبين أن سلالة بكتريا "يرسينيا بستس" التي تسببت في طاعون جستنيان والموت الأسود، كانت طفرات مستقلة انتقلت من القوارض إلى البشر؛ أي أن مرض الطاعون يمضي في رحلة تطورية. وتُظهر هذه النتائج أن القوارض هي المخزن الأساسي للبكتريا، وتمثل بؤراً للطاعون في العالم؛ مما يمهد لعودة ظهور الطاعون مرة أخرى[51].

سبب حدوث الوباء

لطالما دأب الباحثون على معرفة أسباب حدوث طاعون جستنيان، وقد رأى البعض أن مناخ القرن السادس الميلادي ربما كان السبب في ذلك؛ فقد شهدت تلك الفترة هطول أمطار غزيرة ساعدت على نمو الجرذان المسببة للطاعون[52]، أضف إلى ذلك أن الإمبراطورية شهدت في عام 534م شتاء شديد البرودة؛ غزير الثلوج، وحدث في العام نفسه هجوم لجحافل جراد أكلت الأخضر واليابس، وقد تسببت تلك الكوارث في هلاك العديد من الناس والحيوانات. إلا أن أهم حدث أثار العلماء والمؤرخين كان حدوث "سنوات دون صيف أو حدوث حجاب غباري" في عام 536م، واستمرت تلك الظاهرة لأكثر من عام من دون شمس، مع تساقط للثلوج[53]، وأدى هذا الاضطراب المناخي إلى انتشار القوارض المسببة للمرض.

وقد توصل عالم المناخ "لامب" H. H. Lamb لاستنتاج هو أن "كلاً من الطواعين العظيمة في القرن السادس والقرن الرابع عشر حدثت في أوقات الاضطراب المناخي المتزايد". ويرى جونز E. Jones (قسم علم الأجناس البشرية بجامعة كارولينا الشمالية) أنه: "من الراسخ، أن التغيرات المفاجئة العنيفة نسبياً في معدل درجة الحرارة، سواء أبرد أو أدفأ، يُخِلُّ بالتوازن في عالم البكتريا والفيروسات والحشرات، والقوارض والحيوانات الأخرى؛ مما يؤدى لظهور طواعين وأوبئة أخرى، تنتشر بعد ذلك بين البشر". فالبرغوث الناقل للمرض يزدهر في درجة حرارة 15–20 وفي رطوبة 90%-95%[54]. وقد حدث

ذلك في سنوات 534م و536م؛ مما أدى إلى اضطراب مناخي هيأ الظروف لنشاط البرغوث والتفشي المفاجئ للطاعون.

الوفيات

في بداية ظهور الوباء كانت الوفيات قليلة، لكنها ما لبثت أن أخذت في الارتفاع حتى وصل مجموع الموتى في اليوم إلى 5000، ووصل في إحدى المرات إلى 10000[55]، وزاد أحياناً إلى 12000 وأحياناً إلى 16000 حالة وفاة في اليوم. حتى إنه بلغ عدد الجثث التي تم إزالتها من الشوارع نحو 230000 إلى 300000 جثة[56]. وقد كان يتم شحن تلك الجثث على مراكب، بلغ الواحد منها ألفين إلى خمسة آلاف جثة في المركب الواحد[57].

وقد اختلف الباحثون المحدثون حول العدد الدقيق للوفيات؛ إذ يرى بعضهم أن الطاعون دَمَّرَ ثلث سكان الإمبراطورية، و40 بالمائة من سكان القسطنطينية. ويذكر فريقٌ آخر أن طاعون جستنيان ربما قتل نحو 25 مليوناً حول العالم[58]. وهناك من يرى أنه بناءً على الأعداد التي ذكرها بروكوبيوس فقد مات 675000 شخص[59].

وعلى كل حال، من الصعب الوصول إلى مستوى رقم دقيق لمعدل الوفيات؛ بسبب قلة البيانات السكانية لمدينة القسطنطينية؛ فقد قدره "مانجو" بنحو 300.000 إلى 400.000 نسمة في عام 450م[60]، وقدره آخر بنحو 508.000 نسمة قبل الطاعون[61] ويعتقد "جونز" أنه كان ما بين (500.000 و 750.000) في القرن السادس الميلادي[62]. في حين ظهرت تقديرات أخري مبالغ فيها تعتقد أن سكان القسطنطينية خلال عهد جستنيان وصل إلى 30 مليوناً، وبلغ عام 600م نحو 19 مليون نسمة[63]. ولكن من المعقول القول- بناء على الآراء السابقة-أن عدد سكان القسطنطينية راوح بين 50000 و 750000 نسمة قبل الطاعون، وهذا معناه أن الطاعون تسبب في موت أكثر من 50 بالمائة من السكان، إذا أخذنا بأعداد الوفيات المذكورة.

وقد شكك البعض في أعداد الوفيات الواردة في المصادر الأدبية التاريخية، واعتقدوا أنها كانت مليئة بالمعلومات الخطابية المبالغ فيها، وأن الاعتماد عليها فقط قد قاد العلماء إلى المبالغة في تقدير وفيات طاعون جستنيان وتأثيره، ومن أبرز هؤلاء جين

دورليات Jean Durliat، الذي يحتج بأن تحليل النقوش الجنائزية لا يظهر زيادة في معدلات الوفيات خلال هذا الشوط من القرن السادس، كما أن أوراق البردي المصرية لا تُظهر أي إشارة لتأثير الطاعون[64].

وخرج علينا كليف فوس Clive Foss برأي يدعم رأي دورليات؛ وذلك من خلال مسحه لآثار سوريا من أواخر العصور القديمة إلى الإسلام؛ حيث أبدى شكوكه حول عدد الوفيات المبالغ فيه من جراء طاعون جستنيان؛ بحجة أن ليس هناك دلائل أثرية على تلك الوفيات، وأن الطاعون لم يكن كارثة كما تم تصويره، وأن تأثيراته تم تجنبها بسهولة[65].

وأقر بعض الباحثين؛ مثل ولفرام براندس Wolfram Brandes بأثر طاعون جستنيان في الانهيار الديمغرافي الذي شهدته المدن منذ القرن السادس، ولكنه أبدى قلقه من التسليم تماماً بهذا الوصف الدراماتيكي الذي نجده في المصادر السردية عند بروكوبيوس، وإفاجريوس، وغيرهم. وقد دعم قلقه هذا بالحجج التي ذكرها دورليات[66].

وقد أظهرت دراسة النقوش في الفترة من القرن الرابع إلى القرن السابع الميلادي في فلسطين والجزيرة العربية، انخفاضاً مفاجئاً وغريباً في عدد هذه النقوش بين عامي 540م و550م، وذلك على الرغم من ارتفاع أعداد النقوش في بقية عهد الإمبراطور جستنيان[67]. وقد بنى البعض على تلك المعلومة العشوائية أن ذلك يعني قلة في عدد الوفيات خلال تلك الفترة.

وعلى الرغم من أن النقوش الجنائزية هي بالفعل إحدى الدلائل على عدد الوفيات، فإن كثرة كتابة النقوش الجنائزية أو قلتها لا تعكس بشكل دقيق معدلات الوفيات الفعلي في فترة معينة، بل تعكس الثقافة الكتابية في تلك الفترة؛ وعلى هذا لا تعني قلة النقوش قلة الوفيات؛ فهناك احتمال أن السكان تخلوا عن إحياء طقوس جنائزية للعديد من الوفيات[68]. وهذا يجعل من المستحيل استخدام النقوش الجنائزية أساساً لتقدير عدد الوفيات.

والحقيقة السابقة هي بالفعل التي تؤكدها المصادر التاريخية، التي ذكرت أن السكان اضطروا إلى ترك الممارسات الجنائزية، وتخلوا عن إحصاء الجثث، ولجؤوا إلى دفنها

بشكل جماعي[69]، بعدما أمر الإمبراطور جستنيان بحفر قبور جماعية، ابتلع الواحد منها ما يقارب 70 ألف جثة[70]. واضطروا بعدما امتلأت القبور الجماعية إلى الصعود إلى أبراج التحصينات وألقوا الجثث داخلها ثم كدسوها بعضها فوق بعض [71]. وقام فريق آخر بتحميل الجثث على مراكب ثم ألقوها في البحر، وقد بلغت الكومة الواحدة من الجثث على المركب ما بين 2000 و 5000 جثة[72].

أضف إلى ذلك أن الفقراء الذين كانوا أكثر المصابين قد افتقروا إلى الأسباب التي تمكنهم من عمل شواهد مكتوبة لقبورهم؛ ومن ثم من المتوقع غياب النقوش الجنائزية في ظل الظروف العادية، فما بالك عند انتشار الوباء[73]؟

وهناك دراسة مسحية للنقوش الجنائزية قامت بها نانسي بينوفيتز Nancy Benovitz أظهرت خطأ الاعتماد على النقوش الجنائزية كدليل على عدد الوفيات؛ فقد أظهرت دراستها أن اندلاع طاعون عام 541م قد تزامن مع زيادة في عدد النقوش الجنائزية في فلسطين العربية والبيزنطية[74]. وعلى هذا يبدو أن بعض المناطق قد حافظت على طقوسها الجنائزية على الرغم من اندلاع الوباء، خلاف مناطق أخري[75].

والحقيقة فإن أرقام الوفيات مبهمة جداً، ولكن يمكن أن نقبلها إذا قبلنا بعدد الوفيات في المدن الكبيرة التي ضربها الموت الأسود (1346-1353م)، فقد وصلت لأعداد مهولة[76]، ولذلك من المعقول القبول بأعداد هذه الوفيات في طاعون جستنيان.

تفسير المجتمع البيزنطي لطاعون جستنيان

ظهرت في القرون الأولى المبكرة للميلاد توقعات زمنية لنهاية العالم؛ حيث اعتقدوا أنها ستقع نحو 500م. وقد ارتبطت هذه التوقعات باعتقادهم بالمجيء الثاني للمسيح[77]. وطبقاً لسفر الرؤيا (متى 24، لوقا 21، ومرقص 13) لابد أن تُسبق نهاية العالم بالحروب، والمجاعات، والأوبئة، والزلازل، وهذه هي علامات مجيء المسيح[78]. ولهذا نظر المؤرخ يوحنا العمودي في أوائل القرن السادس إلى الأوبئة والزلازل أنها علامات نهاية العالم[79].

وفي ظل هذا المناخ الأخروى المسيطر على العقول اندلع طاعون جستنيان، وبدأ

الناس يفسرون الكارثة على هذا الأساس، فذكر المؤرخ مالالاس أن الذنوب هي التي تسببت في طاعون جستنيان[80]، ويعتقد المؤرخ بروكوبيوس عدم وجود تفسير مقبول لذلك الوباء إلا بالرجوع والتوبة إلى الرب[81]، وبالطريقة نفسها يفسر المؤرخ يوحنا الإفسوسي John of Ephesus الطاعون بأنه غضب من الرب بسبب الذنوب، ويكثر من اقتباس أجزاء من الكتاب المقدس في كتاباته ليدعم نظريته هذه[82].

وفي وقت الأزمات تريد الحشود أن تلقي اللوم على شخص ما، وقد وجدوا ضالتهم في الإمبراطور جستنيان؛ حيث يصفه المؤرخ بروكوبيوس بأنه شيطان اتخذ صورة إنسان، ويدرج الكوارث التي حلت بالإمبراطورية في عهده ليدلل رأيه[83].

وفي ظل التفسير السابق لجأ الناس إلى التوبة؛ فيذكر بروكوبيوس أنه خلال طاعون جستنيان تناسى بعض أعضاء المعارضة عداوتهم وقاموا بشعائر دفن الموتى. بل إن بعض الذين اعتادوا على ارتكاب أفعال مخزية وخسيسة، قد تركوا تلك الأفعال وزاولوا واجبات الدين بعناية؛ ليس لأنهم أصبحوا من محبي الفضيلة؛ بل بسبب فزعهم وخوفهم من الموت، إلا أنهم- للأسف- عادوا إلى أفعالهم الخبيثة بعدما شُفوا من المرض، بل تمادوا تماماً في الخبث وفي المحرمات[84].

ومن ناحية الدولة، بدأت في محاربة التجديف والمحرمات، وأصدر الإمبراطور جستنيان الأول مرسوماً ضد من يحلف بألفاظ كفرية؛ مثل أن يحلف برأسه أو شعره، وضد من يرتكب جريمة الشذوذ الجنسي، ومن يفعل ذلك فسوف يعاقب عقاباً عسيراً قد يصل إلى الموت. وقد ذكر الإمبراطور أن ذلك يجلب غضب الرب المتمثل في الكوارث الطبيعية. وعلى الرغم من أن تاريخ المرسوم غير مذكور فإن إشارة الإمبراطور للطاعون في مرسومه هذا ربما يشير إلى ارتباطه بطاعون عام 541م[85].

وقد فسر الوثنيون اندلاع الطاعون في عام 541م كعقوبة من آلهتهم الوثنية على الجريمة التي ارتكبها الإمبراطور جستنيان عندما قام قبل عام من اندلاع الطاعون (عام 540م) بتحطيم معبد إيزيس Isis في فيلة بمصر وأرسل تماثيله إلى القسطنطينية، وذلك في محاولة منه للقضاء على البقايا الأخيرة للوثنية القديمة[86].

آثار طاعون جستنيان على الدولة والمجتمع

أولاً: الآثار السياسية والعسكرية

ضعف قوة الجيش

انتشر طاعون جستنيان في الريف كما في المدن، وسبب عدداً هائلاً من الوفيات بين الفلاحين الذين شكلوا العمود الفقري للجيش البيزنطي، ولذلك فليس من المفاجئ أن نعلم أن الجيش قد واجه نقصاً حاداً في القوة البشرية في القرن السادس الميلادي. وفي الوقت الذي استطاعت الدولة البيزنطية أن تتغلب على هذا النقص ولجأت إلى الاعتماد على البربر كمجندين في الجيش، فإنها واجهت مشكلة أخرى، وهي عملية دفع رواتب هؤلاء الجنود، وبخاصة مع نقص العمالة التي كانت تدفع الضرائب لخزانة الدولة، وكانت الدولة على حافة الانهيار المالي، ولذا قام هؤلاء الجنود بالتمرد بشكل متكرر[87].

ويظهر ضعف الإنفاق على الجيش البيزنطي بوضوح، أن الإمبراطور جستنيان قد اضطر في كثير من الأحيان إلى تعليق الدفع لقوات الحدود، في الوقت الذي كان يخصص فيه نصف ميزانية الدولة للإنفاق العسكري قبل اندلاع الطاعون في عام 541م[88]، وأصبحت الدولة غير قادرة على مقاومة غزوات السلاف والآفار، التي بدأت منذ عام 560م، والحال نفسه عندما استؤنفت الحرب مع الفرس عام 572م[89].

ويشير المؤرخ البيزنطي أغاثياس Agathias في عام 559م، إلى الضعف الذي أصاب الجيش الإمبراطوري؛ إذ تناقص عدده عن الفترات السابقة، ليصل إلى 150.000 فقط[90]. وهذا في الوقت الذي اعتمد فيه الجيش في تلك الفترة على المتطوعين بدلاً من التجنيد الإلزامي[91].

ومن دلائل ضعف الجيش فقدان الإمبراطورية لنفوذها في إيطاليا؛ حيث استطاع اللومبارديون أن يجتاحوا إيطاليا بداية من عام 565م ولم يلقوا إلا مقاومة صغيرة، في الوقت الذي استقر فيه الآفار في البلقان. أيبيريا Iberia استفاد القوط الغربيون من ضعف كل من الإمبراطورية البيزنطية والفرنجة؛ لدعم موقعهم حتى عام 711م[92].

وقد أدركت الإمبراطورية الضعف الذي أصاب الجيش، وحاجته إلى أفراد للتجنيد، وقامت بعد أن حققت انتصارات على الفرس في عام 578م بتجنيد العديد من الأسرى من تلك المناطق التي استولت عليها من الفرس، كجنود في الجيش البيزنطي[93]. ولأجل هذا الغرض أيضاً، أرسل الإمبراطور موريس (582-602م) مرسوماً إلى أرمينيا؛ لتجهيز 30.000 فرد لسلاح الفرسان للخدمة الحدودية[94].

وفي عام 588م أُجبرت السلطات الإمبراطورية على تخفيض الرواتب العسكرية نحو 25 %؛ مما أدى إلى تمرد كبير على الحدود الشرقية، وزاد الاستياء العسكري من اقتصاد الإمبراطورية بشكل أكبر؛ مما أوجب خلعهم للإمبراطور موريس في 602م[95].

انتشار الإسلام

وعلى الرغم من حقيقة أن طاعون جستنيان (541-543م) كان وباءً مدمراً، له آثاره المباشرة، وآثاره بعيدة المدى، فإن هناك عدداً من الباحثين قد بالغ جداً في تأثيراته، حتى رأى الكثير منهم أن انتشار الإسلام كان أحد آثار هذا الوباء.

ويبدو أن روسل (1968م) هو أول من قال بهذا الرأي، فيرى أن خسارة السكان أجبرت الإمبراطورية البيزنطية على تخفيض حجم جيوشها الميدانية؛ مما أدى إلى ترك الهجوم في الغرب بعد عام 565م، وإضعاف الدفاعات الجنوبية مما مكن الإسلام من اجتياح مصر وسوريا في القرن التالي. ومن ناحية أخرى يعتقد روسل أن المناطق البدوية (التي بالطبع يسكنها العرب) لم تشهد خلال الطاعون وفيات كبيرة مقارنة بالإمبراطورية البيزنطية[96].

وفي الوقت نفسه يشير "بيرابن" Biraben و "لي جوف" Le Goff (1969م) إلى فراغ السلطة الذي سببه نقصان السكان بسبب الطاعون؛ مما سهل وصول السلاف، وقدوم المسلمين، والتغيير التدريجي للقوة بعيداً عن البحر الأحمر إلى شمال أوروبا[97].

وقد تبنى الرأي نفسه كل من "ريتيف" Retief و "سيليرس" Cillires (2005م)[98]، ثم هوردن Horden (2006م)[99] وهؤلاء رأوا الانتصارات السريعة لجيوش الإسلام في القرنين السابع والثامن الميلاديين أنها نتيجة للآثار التدميرية لطاعون جستنيان.

وقد جاء دونر Donner (2006م)[100] ليزيد الطين بلة وزعم أن الطاعون لم يصل إلى بلاد العرب نفسها، ولذلك حافظت على قوتها، في حين ضعفت الأمم المجاورة لها، وهذا كان له دور كبير في القوة التي ظهر بها المسلمون في بداية القرن السابع الميلادي.

وكل هذه الآراء مردود عليها، ويبدو أن أصحابها أرادوا فقط أن يبرروا هزيمة الإمبراطورية البيزنطية أمام مجموعة من العرب البدو، كما يعتقدون.

فمن المعروف أن طاعون جستنيان كان له آثار سلبية على قوة الجيش البيزنطي، ولكن القول إن هذا الأثر قد استمر لمدة قرن من الزمان حتى بدأت معارك المسلمين مع البيزنطيين في مؤتة عام 629م/ 8هـ[101]، لهو قول لا يخلو من مبالغة، وخاصة إذا علمنا أن الجيش البيزنطي لم يبق على حالته من الضعف، ولكن الإمبراطورين تيبرويوس وموريس – كما ذكر المؤرخ ستيفن رنسيمان- قد أعادا تنظيم الجيش، ذلك الجيش الذي استطاع به هرقل أن ينتصر في حروبه الطويلة مع الفرس[102]، تلك الحروب التي استمرت ست سنوات (622–628م) كان النصر فيها حليفاً للبيزنطيين[103].

وعلى الرغم من أنه لم يبق دليل مباشر عن الحجم الكلي للجيش البيزنطي في القرن السابع[104]، فإن تي‌ريد جولد يرى من خلال الرواتب المدفوعة للجيش، أن الإمبراطورية البيزنطية امتلكت جيشاً في عام 641م مكوناً من نحو 109.000 جندي[105]. وهذا رأي صحيح؛ فقد كان الإمبراطور هرقل قادراً على جمع جيش ضخم في معركة اليرموك 636م/ 15هـ قَدَّره بعض المؤرخين بما لا يقل عن 240.000، وقَدَّره البعض الآخر بـ200.000، وقيل مائة ألف وهو الأقرب إلى الصواب، في الوقت الذي كان فيه عدد جيوش المسلمين 46.000 فقط[106]. وهذا كله يعني أن الجيش البيزنطي كان قد تعافى من تأثيرات طاعون (541–543م)، ويدحض الرأي القائل أن ضعف الجيش البيزنطي هو سبب انتشار الإسلام.

أما عدم وصول طاعون (541–543م) إلى بلاد العرب، فهو أمر غير صحيح، وتثبت المصادر التاريخية عكسه؛ ذلك أن المؤرخ زكريا ريتور قد ذكر صراحة أن بلاد العرب قد وصل إليها الوباء في عام 542م[107]، إضافة إلى العديد من النقوش الجنائزية

التي تؤكد وصول الطاعون إلى بلاد العرب وفلسطين، كما ذكرنا آنفاً.

ثانياً: الآثار الاقتصادية

نقص الموارد المالية

تسبب طاعون جستنيان في نقص كبير في عدد السكان؛ وهو ما أدى بدوره إلى انخفاض دخل الضرائب، وأصبحت مشكلة النظام الضريبي غاية في الصعوبة[108]. فانخفضت الإيرادات في عهد جستنيان إلى مبالغ تراوح بين 105 ملايين و120 مليون فرنك ذهبي، بعد أن كانت في عهد الإمبراطور أنستاسيوس الأول 355.600.000 فرنك ذهبي[109].

ومن أفضل الأدلة المسجلة على الأزمة المالية الشديدة التي سببها طاعون جستنيان، قيام الحاكم البرايتوري بتروس بارسيمس Petros Barsymes في الفترة (543–546م)، بحرمان الجنود من كل رواتبهم، وعرض المناصب للبيع بشكل أكبر مما كان، كما قام باستغلال تجارة الحبوب، وأُرسل تموين ضخم من الحبوب إلى بيزنطة وكان معظمه متعفناً، وأمر بارسيمس أن تُرسل الحبوب المتعفنة إلى مدن الشرق على الرغم من أنها لا تصلح للاستهلاك البشري، كما أمر أن تُباع هذه الحبوب الفاسدة بسعر أكبر حتى من ثمن الحبوب الصالحة للاستهلاك[110].

وقد حاولت الدولة علاج نقص الموارد المالية عن طريق رفع الضرائب؛ إذ أجبر بارسيمس المزارعين على دفع الضريبة أكثر من عشر مرات، كما أجبرهم على تأمين تموين الجيش، ونقل الحبوب إلى بيزنطة[111].

كما امتدت أيدي الدولة إلى التجارة أيضاً ولاسيما تجارة الحرير، حتى تقتطع من أرباحها ما يجبر عجز خزانتها، وقد قام بتلك المهمة أيضاً بارسيمس ولكن خلال توليه منصباً آخر وهو محاسب الهبات المقدسة (547–550م)؛ إذ طلب من حرفيي تجارة الحرير أن يعملوا لصالحه فقط، وقام ببيع الأصباغ علناً في السوق، حيث باع النوع الشائع منها بأقل من ست عملات ذهبية لكل أونص Ounce، بينما باع الصبغ الإمبراطوري المعروف بـ "boloverum" (كلمة يونانية لاتينية هجينة تعني "صافياً جدا") بأكثر من 24 عملة

ذهبية لكل أونص[112].

وكل هذه الأفعال أراد بارسيمس بها أن يخفض من إنفاق الدولة السنوي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن يحقق بها مكاسب مالية لسد العجز في الموارد المالية للإمبراطورية، والحقيقة أن بارسيمس استطاع أن يجنب الدولة الإفلاس المطلق في أثناء الطاعون[113].

وقد استمر هذا النقص في الإيرادات إلى عهد جستين الثاني Justin II (475-565م) الذي تحدث عند توليه العرش، عن "الخزانة الحكومية المثقلة بالعديد من الديون، التي تحولت إلى الفقر المدقع" وعن " الجيش الذي في حاجة ماسة إلى كل الضروريات" ؛ ولذا وقعت الإمبراطورية فريسة لهجمات الأعداء[114].

ارتفاع الأسعار والأجور

خلال اندلاع طاعون جستنيان زادت نسبة التضخم بدرجة كبيرة؛ فقد كانت تباع بالسوق سلع لا تساوي قيمتها أكثر من أوبول Obol (فلس follis[115])، كانت تباع بدينار[116]، وهذا سعر مرتفع جداً، فالدينار (= نحو 1 صولد) يعادل 288 فلساً.

وسبب نقص الأيدي العاملة يعود إلى مرض الناس، حتى إن الناس لم يجدوا من يدفنهم، ولذا ارتفعت أجور العمال بشكل كبير؛ حيث زادت أجرة حمل الجثث ودفنها إلى 5 دنانير، ووصلت أحياناً إلى 10 دنانير لكل حمولة [117]، ووصلت أجرة دفن الجثة الواحدة إلى 12 ديناراً في أحيان أخرى[118]. وقد حقق هؤلاء العمال أرباحاً هائلة، وتمكن بعضهم من جمع رطل من الذهب، وأكثر من 100 دينار[119]. كما تسبب هذا الوباء في ندرة الخدمات الرئيسية مثل غسل الملابس وتنظيف البيوت، حتى كان بعض الناس يطلبون في مقابل ذلك الذهب بدلاً من الأجرة المعتادة وهي فلس follis[120].

وقد أراد عمال التجارة والصناعة والزراعة استغلال قلة اليد العاملة المحلية المترتبة على الوفيات الهائلة من جراء طاعون جستنيان، وحاولوا رفع أجورهم أعلى من الأسعار المعتادة بشكل دائم، ويتضح هذا من مرسوم أصدره الإمبراطور جستنيان مؤرخ بـ 23

مارس 544م، يلوم الإمبراطور فيه الجشع الذي أصبح عليه العمال، والصناع والمزارعون، والبحارة؛ حيث كانوا يطلبون ضعف الأسعار والأجور المعتادة من قبل أو ثلاثة أضعافها. ولذا فقد منع الإمبراطور في مرسومه مثل هذا التصرف وثبت السعر والأجر القديم، وفرض عقوبة على من يعطى أو يستلم أكثر من المبلغ بأن يدفع ثلاثة أضعاف المبلغ الذي أخذه إلى الخزانة[121].

نقص المواد الغذائية

في حالات انتشار الأوبئة كان الناس يتفادون الذهاب إلى المناطق المصابة خشية العدوى؛ مما قد يؤدي إلى ندرة في تلك المناطق، وقد حدث ذلك خلال طاعون جستنيان؛ فعندما وصل الطاعون إلى ميرا Myra، لم يجلب مزارعو القرى المحيطة إلى البلدة حبوباً ولا طحيناً، ولا نبيذاً أو خشباً؛ لأنهم أرادوا تجنب العدوى[122]، وقد أدى ذلك إلى نقص حاد في السلع والغذاء في ميرا.

وبسبب زيادة الوفيات التي سببها طاعون جستنيان، وما ترتب عليها من نقص الأيدي العاملة، حدث نقص شديد في السلع الغذائية الأساسية، ولاسيما الذرة. فبعد انتهاء طاعون جستنيان من الإمبراطورية، تعرضت القسطنطينية في عام 545م لندرة في النبيذ[123]، وفي الذرة[124].

وقد استمرت ندرة الطعام بعد انتهاء طاعون جستنيان خصوصاً في القسطنطينية؛ ففي الاقتصاد الذي كان يعتمد على الزراعة بشكل كبير، كان لقلة العمال نتائجها الوخيمة، ومع النقص الحاد للعمالة الذي شهدته الإمبراطورية بعد طاعون جستنيان، إضافة إلى الفترة الطويلة التي أخذها الناجون حتى يعودوا إلى صحتهم (التحسن الكامل أخذ على الأقل ستة أشهر)، لابد أن ذلك خلق أزمات غذائية فيما بعد[125]. ومن أبرز حالات الندرة التي شهدتها الإمبراطورية بعد طاعون جستنيان، تلك التي حدثت في شهر مايو من عام 555م؛ حيث تعرضت القسطنطينية لندرة في الخبز، ومر الناس بفترات عصيبة[126].

الانهيار الزراعي

يصور ميخائيل السرياني حالة الانهيار الزراعي خلال طاعون جستنيان والفترة التي تلته؛ فيشير أن الأموال تُركت في السهل والجبل، ولا يوجد من يجمع غلات الحقول أو يحصد أو يخزن، وانقضى موسم قطف العنب ولم يقطفه أحد؛ لأن الناس انتهوا من كل المسكونة (الأرض)، ولم ينج منهم إلا قلة[127].

وقد عانى ملاك الأراضي الزراعية بسبب موت غالبية المزارعين، ولذلك هجر الناس العديد من الأملاك. ومما زاد الطين بلة، أن الإمبراطور جستنيان لم يعف الفلاحين من الضرائب السنوية المقررة عليهم ولو حتى مرة واحدة، وليس هذا فحسب، بل أخذ منهم الضرائب المقررة على الأراضي المجاورة لهم التي هجرها أصحابها، أو الذين ماتوا عنها[128]. وهذا النظام عُرف في الإمبراطورية قبل فترة طويلة من طاعون جستنيان كممارسة تقليدية إذا ما مامات مالكو الأرض من جراء الطاعون، فإن ضرائب تلك الأرض تنتقل إلى ملاك الأراضي المجاورة لها[129].

ولكن الإمبراطور جستنيان يبدو أنه أدرك أخيراً حجم الخراب الذي لحق بالزراعة من جراء ذلك الإجراء السابق الذي أصبح ثقيلاً جداً بعد الوفيات الهائلة التي خلفها الطاعون، وحاول تخفيف ذلك العبء الواقع على طبقة ملاك الأراضي، وأصدر مرسوماً في عام 545م يقضي بعدم انتقال الضرائب غير المدفوعة على هذه الأراضي المهجورة إلى ملاك الأراضي المجاورة[130].

انهيار قيمة العملة

ترك طاعون جستنيان آثاره الوخيمة على العملة؛ مما دفع بتروس بارسيمس إلى اتباع سياسة جستنيان نفسها، وقام بإصدار عملة ذهبية خفيفة[131]؛ وذلك لتغطية العجز الناتج من الدمار الكلي الذي تركه الطاعون، ولا شك في أن هذا يعني عدم الاستقرار المالي للدولة البيزنطية إبان القرن السادس.

وهناك دليل آخر واضح على الأثر الذي تركه الطاعون على قيمة العملة النحاسية؛

فقد لاحظ " ميتكالف " Metcalf أنه بدءاً من عام 542م والأعوام التي تليه، قد شهدت عدم استقرار هائلاً في وزن العملة النحاسية، وذلك بعد أن قام بدراسة أوزان العملة النحاسية في الفترة من عام 538م إلى 551م، وأثبتت هذه الدراسة أن وزن العملة النحاسية هبط لنحو 23 % [132]. وهناك أيضاً دراسة عن النقود أظهرت أن الوزن القياسي للفلس follis هبط من 18.19 غراماً في السنوات 512–538م، وارتفعت إلى 24.95 غراماً بين 538م و542م، ثم انخفضت جداً إلى 13.64 غراماً بحلول عام 570م[133]. وهذا يعني أن العملة كانت قد بدأت تنتعش بعد عام 538م، إلا أن الطاعون جاء وأوقف ذلك الانتعاش، وأدى إلى تراجع قيمة العملة.

توقف حركة الأسواق

انهارت جميع الأعمال، وتوقفت التجارة[134]، وتعطلت حركة البيع والشراء، وأُغلقت الحوانيت على اختلافها، وأُلغيت السوق الكبرى الخاصة بالمدينة، وحتى المواد الغذائية اختفت من الأسواق[135]، كما أغلقت دكاكين الدائنين الكبيرة، وتوقفت إمدادات الطعام، ونتيجة لذلك اختفى الطعام من الأسواق، ولم يكن هناك إلا قلة تمتعت بالصحة جلبوا إلى السوق أشياء رخيصة وأرادوا بيعها بثمن كبير؛ ولهذا توقف كل شيء[136].

ثالثاً: الآثار الاجتماعية

تغير طرق دفن الموتى

في الأوقات العادية كانت ممارسات الدفن تحدد وفق التقاليد والقانون؛ فقد كانت العائلة تهيئ الميت للدفن، وتخرج به في موكب من البيت إلى المقبرة. وكانت العائلات الغنية تقوم ببناء المقبرة تحت الأرض (hypogaion) خارج أسوار المدينة، أو كانت تدفع مبلغاً كبيراً لحفر قبر حجري. ومعظم الناس كانوا يدفنون في مقابر سطحية بسيطة مخططة بالطابوق أو الآجُر ومميزة بشاهد قبر منقوش أو مصبوغ. وقد كان الناس يعينون مراقبين لحراسة القبر ضد ناهبي القبور الجديدة. وفي أوقات الصيف أو المناخ الحار أصبح من الضروري التعجيل بدفن الميت. وقد حظيت عائلات النخبة بامتيازات في مقابرها، حيث

صممت كنيسة جنائزية خاصة كجزء من أديرتهم الموهوبة. وقد قامت جمعيات الدفن، والجمعيات الخيرية، والنقابات التجارية بالمساعدة في عمل ترتيبات الدفن لمشتركيهم. ولكن عموماً وقعت واجبات دفن الفقراء والمعدمين على عاتق الكنيسة[137].

وقد تخلى الناس عن تلك الشعائر الجنائزية خلال جائحة طاعون جستنيان بسبب كثرة الجثث، فلم تعقد لها مواكب كما كان معتاداً من قبل، ولم تغن الأناشيد المعتادة عليها، بل إن بعض الناس لم يحضروا جنائز أقربائهم[138]. وكانت الجثث ترمى إلى البحر أو ترمى على الزوارق الصغيرة في أكوام[139]، واستمر الدفن في كل مكان، وبعد حين لم يستطع الناس مجاراة كثرة عدد الجثث فصعدوا أبراج التحصينات، وشقوا سقوفها ورموا الجثث فيها بكل فوضى وكدسوها بعضها فوق بعض، وملؤوا الأبراج بالجثث ثم غطوها بالسقوف مرة أخرى[140].

انتشار الخرافات والزندقة

أدت الأوضاع الصعبة التي زامنت طاعون جستنيان إلى انتشار الخرافات، ذلك الوباء الذي لم تستطع عقلية ذلك الزمان أن تفسره أو تفهمه، لذا لجأ المجتمع إلى القيام بأفعال غريبة؛ حيث انتشرت إشاعة في القسطنطينية بين الناجين، تقول إنهم لو رموا الأباريق من نوافذ طوابقهم إلى الشوارع وفرقعت بالأسفل، فإن الموت سيهرب من المدينة. وعندها قامت بعض النسوة بفعل هذه الحماقة في حي واحد، ورموا الأباريق من النوافذ حتى انتشرت هذه الإشاعة من حي إلى آخر ثم إلى المدينة بكاملها. وانغمس كل الناس في هذه الخرافة، واستمروا لمدة ثلاثة أيام مشغولين تماماً فرادى أو جماعات بكسر الأباريق في منازلهم. ولكن شيئاً لم يحدث، واستمر فتك الوباء، لذا بدأ الناس في النواح. ويُقال إن الشياطين ظهرت للناس في زي رجال الدين، وعندما رأوهم ولوا هاربين لاعتقادهم أنهم سيموتون[141]، وقد استمرت تلك الخرافة مدة سنتين بعد انتهاء الوباء[142].

وقد لجأ بعض الناس إلى عبادة الأصنام اعتقاداً منهم أن ذلك ينجيهم من الموت بالطاعون، ويذكر يوحنا الإفسوسي أنه في إحدى المدن الواقعة على حدود فلسطين

ظهرت الشياطين لساكني تلك المدينة على هيئة الملائكة. وخدعوهم وأخبروهم أنه يجب عليهم أن يعودوا إلى معبود برونزي مهجور، وهو تمثال كان في السابق أحد أصنام الوثنيين ومازال يُعبد سراً من بعض الوثنيين، وأخبرتهم الشياطين -بحسب قول يوحنا- أنهم لو عبدوه لما دخل الموت المدينة أبداً، فسارع الناس جميعاً وعبدوا ذلك الصنم. وفي تلك الأثناء هبت ريح داخل المعبود ورفعته إلى السماء، وألقته بقوة من هذا الارتفاع إلى الأرض. وتكسر إلى قطع وتفرق مثل الماء على سطح الأرض، ولم يأت المساء حتى مات هؤلاء الزنادقة، وفنيت المدينة بالكامل[143].

ولعل البعض يعتقد أن الشك في الدين قد أصاب عوام الناس فقط؛ لقلة علمهم وإيمانهم، وهذا غير صحيح؛ فقد أصابت تلك الحالة من الشك بعض نخبة ذلك العصر، ومنهم إفاجريوس Evagrios، وهو مؤرخ للكنيسة، وكان سكرتيراً للبطريرك جريجوري الأنطاكي Gregory of Antioch (571-593م)، وقد كان إفاجريوس رجلاً شديد التدين[144]. ولكنه لم يسلم من الطاعون؛ حيث أصابه وهو طفل صغير في المرحلة الابتدائية، ولكنه شُفي. ولكن الحظ لم يحالفه في السنوات اللاحقة عندما اندلع الطاعون مرة أخري؛ حيث فقد زوجته، وحفيده، وأطفاله، وعبيده[145]. وقد أدت كل تلك المصائب إلى زعزعة إيمان ذلك الرجل؛ حيث بدأ يتساءل عن الرب إذا كان بالفعل عادلاً، وبدأ يخالج نفسه الشك والسخط، ويفكر لماذا يفقد هو أطفاله وهو مؤمن في حين أن الوثنيين لم يفقدوا أطفالهم، وعلى الرغم من أن إفاجريوس لم يبح ما في صدره لأحد، إلا أنه تلقى رسالة من القديس سمعان العامودي الأصغر Simeon Stylites (ت 592م) الذي يبدو أنه علم بمصاب الرجل فأراد أن يواسيه، وأخبره في رسالته بالكف عن تلك الأفكار التي تدور في رأسه؛ فهي تُغضب الرب[146]. فسارع إفاجريوس بعدها إلى القديس سمعان وأبدى ندمه وتوسلاته وتوبته، فأخبره القديس سمعان أن الرب قد غفر له[147].

انتشار النهب والسرقة

على الرغم من البلاء الذي حل بالمجتمع البيزنطي بسبب طاعون جستنيان، فإن الطمع تسرب إلى نفوس بعض الناس، وحاولوا سرقة الأملاك التي تُركت بلا حراسة

بسبب موت أصحابها أو مرضهم، ويخبرنا يوحنا الإفسوسي أن ثروات العديد من الناس قد تُركت، سواء كانت ذهباً، أم فضة أو كنوز، وكانت الأبواب مفتوحة، والمنازل ممتلئة بالخيرات والثروات. وكان هناك مدينة على الحدود المصرية هلك أهلها بالكامل، وبقي منهم سبعة رجال وولد واحد صغير في العاشرة من عمره فقط ، فتجول هؤلاء حول المدينة ولم يجدوا أحداً غيرهم على قيد الحياة، فقرروا الاستيلاء على كل ممتلكات المدينة. وتجاسروا لدخول البيوت التي كانت ملكاً للأغنياء، وأخذوا يجمعون الذهب والفضة لمدة ثلاثة أيام فقط ، وملؤوا بها بيتاً كبيراً. وفي اليوم الثالث وبينما كانوا يحملون الغنيمة إلى داخل البيت ماتوا في الحال، ولم يبق إلا الولد الصغير. وعندما سمع أحد الأغنياء الذين تركوا ممتلكاتهم في المدينة بحال مدينته، أرسل من يستكشف مصير عائلته. فذهب وكلاؤه ودخلوا المدينة وجالوا فيها، فلم يجدوا أحداً على قيد الحياة ما عدا الولد يجلس وينوح، ولما سألوه أخبرهم بكل شيء، وأراهم ما جمعوه، وعندما رأى الوكيل أن كمية الذهب عظيمة، قرر أن يقوم بسرقة بعضه، ودخل وحمل ما استطاع من الذهب على حيواناته، ولكنه مات في النهاية[148].

الهوامش والمراجع

(1) - Turkington, Carol, and Bonnie Ashby. *The Encyclopedia of Infectious Diseases.* New York, Facts On File, 1998, p. 207, 208.

(2) يرسينيا بستس هي بكتريا عصوية عرف ألكسندر يرسين Alexander Yersin أنها هي المسؤولة عن الطاعون الدبلي في عام 1894 م. وكان اسمها في البداية باستوريلا بستس Pasturella pestis ، نسبة إلى لويس باستير، وأعيد تسميتها في 1971 م تكريماً لـ "يرسين" . انظر:

Moss , Sandra. "Bubonic Plague". in *Encyclopedia of Pestilence, Pandemics, and Plagues*, ed. Joseph P. Pyrne. 2008, p. 74.

(3) - "Bubonic Plague.", p. 75.

(4) - *Encyclopedia of Infectious Diseases*, p. 208.

(5) - "Bubonic Plague.", p .74.

(6) - Carmichael, Ann G. "Bubonic Plague". T*he Cambridge World History of Human Disease*. ed. Kenneth F. Kiple. 1999, p. 628.

(7) واتس، شلدون: **الأوبئة والتاريخ: المرض والقوة الإمبريالية**، ترجمة: أحمد محمد عبد الجواد، القاهرة:

المركز القومي للترجمة، 2010، ص 74.

(8) البلوزيوم: مدينة تقع في الركن الشمالي الغربي لشبه جزيرة سيناء، نحو أربعة عشر ميلاً (22.5 كم) شرق قناة السويس، وثلاثة أميال (5كم) نحو الداخل من البحر المتوسط. انظر:

Stewart, Randall. "Farama" *The Coptic Encyclopedia*. ed. Aziz Suryal Atiya, 7 vols. 1991, p. 1089.

(9) - Procopius of Caesarea. *History of Wars*. trans. London & New York, The Loeb Classical Library, 1935-1940, vol. 1, p. 453. Cf. also Gibbon, Edward. *The Decline and Fall of the Roman Empire*. ed. J. B Bury, 12 vols. New York, 1906-1907, vol. 7, p. 296; Zinnser, Hans. *Rats, Lice and History*. London, 1935, p. 145; Vasiliev, A. *History of the Byzantine Empire* 314 – 1453. Madison, 1952, p. 162; Bury, J. B. *History of the Later Roman Empire: From the Death of Theodosius I to the Death of Justinian*. New York, 1958, vol. 2, p. 62; Downey, G. *A History of Antioch in Syria from Seleucus to the Arab Conquest*. Princeton & New Jersey, 1961, p. 553; W Treadgold, W. T. *A History of the Byzantine State and Society*. Stanford University Press, 1997, p. 196; Stathakopoulos, Dionysios. "The Justinianic Plague Revisited." *Byzantine and Modern Greek Studies*. 2000: 256–76, esp., p. 256; Stathakopoulos , D. Ch. "Travelling with the Plague". *Travel in the Byzantine World*. ed. R. Macrides. Ashgate, 2002, p. 99; Antoniou, Ioannis, and Anastasios K. Sinakos. "The Sixth-Century Plague, Its Repeated Appearance until 746 AD and the Explosion of the Rabaul Volcano". *Byzantinische Zeitschrift*. 2005: 1–4, esp. p. 1; Evans ,J. A. S. *The Emperor Justinian and the Byzantine Empire*. London, 2005, p. 123;

ورستم، أسد: الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب، م2، ج1، بيروت، 1955، ص173؛ غنيم، اسمت: إمبراطورية جستنيان، جدة، 1977، ص 88.

(10) - Scholasticus, Evagrius. *The Ecclesiastical History of Evagrius Scholasticus*. Liverpool University Press, 2000, p. 229; Rhetor , Zachariah. *The Chronicle of Pseudo-Zachariah Rhetor: Church and War in Late Antiquity*. Translated by Geoffrey Greatrex, Robert R. Phenix, and Cornelia B. Horn. Liverpool Uiversity Press, 2011, p. 414; Jacob of Edessa. "The Chronological Canon of James of Edessa." Translated by E. W. Brooks. *Zeitschrift Der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*. 1899, p. 321;

والسرياني، ميخائيل: **تاريخ ميخائيل السرياني**، ترجمة: مار غريغوريوس صليبا شمعون، ج2، ط 1، حلب: دار ماردين، 1996، ص 124. وانظر أيضاً:

Byzantine state, p. 196; Evans, J. A. S. *The Age of Justinian: The Circumstances of Imperial Power*. Routledge, 2000, p. 160.

(11) تاريخ ميخائيل السرياني، ص 125 .

(12) - *Rats,* p. 145; *Byzantine Empire*, p. 162; Pauline Allen, "The Justinianic plague", *Byzantion* 1979, p. 6; Conrad, Lawrence I. "The Plague in the Early Medieval Near East" (PhD Diss., Princeton University, 1981), p. 91; P. Retief, Francois, and Louise Cilliers. "The Epidemic of Justinian (AD 542): A Prelude to the Middle Ages". *Acta Theologica* . no. 2, 2006, p. 118; Kohn, G. C. *Encyclopedia of Plague and Pestilence: From Ancient Times to the Present.* Facts On File, Incorporated, 2008, p. 216.

(13) - Allen, "Justinianic Plague,", p. 19; Stathakopoulos, "Travelling with the Plague.", p. 99; Evans, *Age of Justinian*, p. 160; Horden, Peregrine. "Mediterranean Plague in the Age of Justinian". *The Cambridge Companion to the Age of Justinian*. Ed. Michael Maas. Cambridge: Cambridge University Press, 2005, p. 134; Sarris, Peter. *Economy and Society in the Age of Justinian*. Cambridge University Press, 2006, p. 217; *Encyclopedia of Plague*, p. 216.

وبسبب النشاط التجاري مع مصر وخاصة موانئ البحر الأحمر، يُعتقد أن الوباء ظهر أولاً في صعيد مصر في تلك الموانئ، ثم وصل إلى النهاية الشرقية لوادي النيل (البلوزيوم) خلال صيف 541م، وانتشر من هناك شرقاً إلى جنوب فلسطين. انظر :

Aberth, J. *Plagues in World History*. Rowman & Littlefield Publishers, 2011, p.23.

(14) - *Byzantine state*, p. 196.

(15) McNeill , W. H. *Plagues and Peoples.* Anchor Books, 1976, pp. 120-121.

(16) - Indicopleustes, Cosmas. *The Christian Topography of Cosmas, an Egyptian Monk: Translated from the Greek, and Edited with Notes and Introduction*. Translated by John Watson McCrindle. Cambridge University Press, 2010, pp. 363-368.

(17) - Harbeck, Michaela ,et al. "Yersinia Pestis DNA from Skeletal Remains from the 6th Century AD Reveals Insights into Justinianic Plague," *PLOS Pathogens* 9, no. 5, 2013: e1003349, https://doi.org/10.1371/journal.ppat.1003349.

(18) - *Wars*, vol. 1, p. 453; Malalas, John. *The Chronicle of John Malalas*. Translated by Elizabeth Jeffreys, Michael Jeffreys, and Roger Scott. Australian Association for Byzantine Studies, 1986, p. 286. Cf. also *Rats*, p. 145; *Emperor Justinian*, p. 123; *Later Roman Empire*, vol. 2, p. 62.

(19) - Pseudo Dionysius of Tel-Maḥrē), *Chronicle (Known Also as the Chronicle of Zuqnin) Part III*, Translated by Witold Witakowski, Translated Texts for Historians 22. Liverpool University Press, 1996, p. 77.

(20) - *Ecclesiastical History*, p. 229; *Chronicle*, p. 414. Cf. also *Antioch,* p. 553.

(21) - *Chronicle*, p. 415.

(22) - *Wars*, vol. 1, p. 455; Theophanes, *The chronicle of Theophanes Confessor : Byzantine and Near Eastern history, AD* 284-813, Translated by Cyril A. Mango, Roger Scott, and Geoffrey. Oxford; New York: Clarendon Press; Oxford University Press, 1997, p. 322. Cf. also *Later Roman Empire*, vol. 2, p. 62; *Emperor Justinian*, p. 124; *Age of Justinian*, p. 160.

في الغالب أن القسطنطينية استوردت كميات هائلة من الحبوب من مصر في ذلك الوقت، ولربما حملت سفن الحبوب الجرذان معها، فنقلت العدوى إلى المدينة. انظر :

Withington, J. *A Disastrous History of the World (Chronicles of War, Earthquake, Plague and Flood).* Great Britain, 2008, p. 107.

(23) سيكون هي قرية في جالاتيا على الطريق السريع عبر الأناضول، تقع نحو 100 كم غرب "أنكيرا". انظر :

Foss, C. "Sykeon." *The Oxford Dictionary of Byzantium*. Edition Alexandre Kazhdan et al. New York • Oxford: Oxford University Press, 1991, vol. 3, p. 1980.

(24) - "The Life of St. Theodore of Sykeon," Translated by Elizabeth Dawes and Norman H. Baynes. *Three Byzantine Saints: Contemporary Biographies of St. Daniel the Stylite, St. Theodore of Sykeon and St. John the Almsgiver.* London & Oxford, 1977, pp. 91-92.

(25) - Victor of Tunnuna, "Chronica," in *Monumenta Germaniae Historica: Auctorum Antiquissimorum* 11*=chronica Minora Saec IV-VII, Vol.* 2, Edition, T. Mommsen. Berlin, 1894, p. 201.

(26) - *Chronicle*, p. 414.

(27) - Marcellinus comes, *The Chronicle of Marcellinus: A Translation and Commentary : (With a Reproduction of Mommsen's Edition of the Text)*, Translated by Brian Croke, Byzantina Australiensia 7. Sydney: Australian Association for Byzantine Studies, 1995, p. 50.

(28) - Gregory of Tours. *The History of the Franks*. Translated by Lewis Thorpe. Penguin Books Limited, 1974, pp. 199-200, 212.

(29) - *Chronicle*, pp. 414-415;

وتاريخ ميخائيل السرياني، ص 124.

(30) - Koder, Johannes. "Ein Inschriftlicher Beleg Zur "justinianischen " Pest in Zora (Azra'a)". *Byzantinoslavica* 56. 1995, p. 14; P. Allen and B. Neil, *Crisis Management in Late Antiquity (*410-590 *CE): A Survey of the Evidence from Episcopal Letters,* Brill, 2013, pp. 85-86; Lee, A. D. *From Rome to Byzantium AD* 363 *to* 565*: The Transformation of Ancient Rome: The Transformation of Ancient Rome.* Edinburgh University Press, 2013, p. 290, n.11.

- "Mediterranean Plague.", p. 138. (31)
- Withington, John. *A Disastrous History of the World: Chronicles of War, Earthquake, Plague and Flood*. Great Britain: Piatkus, 2008, p. 110. (32)
- *Wars*, vol. 1, p. 453; *Ecclesiastical History*, 230. Cf. also *Rats*, p. 145; "The Epidemic of Justinian.", p. 118; *A Disastrous History*, p. 110. (33)
- *Wars*, vol. 1, p. 455. Cf. also *Emperor Justinian*, p. 124. (34)
- *Wars*, vol. 1, pp. 455-457. Cf. also "The Epidemic of Justinian.", p. 118; *A Disastrous History*, p. 107. (35)
- *Chronicle*, p. 77; (36)

وتاريخ ميخائيل السرياني، ص126.

Cf. also "Justinianic Plague,", p. 7; "The Epidemic of Justinian.", p. 118; Evans, J. A. S. *The Empress Theodora: Partner of Justinian*. University of Texas Press, 2002, p. 59; *Age of Justinian*, p. 161.

Wars, vol. 1, pp. 457-459. Cf. also *Encyclopedia of Plague*, p. 217; *Age of Justinian*, p. 161. (37)

- *Chronicle*, p. 87; Cf. also *Encyclopedia of Plague*, p. 217. (38)
- *Wars*, vol. 1, pp. 457-459; Ma De Menbidj Agapius, Mahboub. *Kitab Al-'unvan (Histoire Universelle)*. Edition Alexandre Vasiliev, Patrologia Orientalis 8. Paris, 1912, p. 431. Cf. also *Rats*, p. 146; *Decline and fall*, vol. 7, p. 297; *justinianic plague*, p. 7; *A Disastrous History*, p. 107; *Age of Justinian*, p. 161. (39)
- *Ecclesiastical History*, p. 231. Cf. also "Justinianic Plague,", p. 7. (40)
- *Wars*, vol. 1, p.459. cf. also *Later Roman*, vol. 2, p. 63; *A Disastrous History*, p. 108; *Encyclopedia of Plague*, p. 217. (41)
- *Wars*, vol. 1, p. 461; Cf. also *Later Roman*, vol. 2, p. 63. (42)
- *Ecclesiastical History*, p. 231. Cf. also "Justinianic Plague,", p. 7; "The Epidemic of Justinian.", p. 119; *Age of Justinian*, p. 161. (43)

Wars, vol. 1, p. 463; Cf. also *Later Roman*, vol. 2, p. 64; *Age of Justinian*, p. 161. (44)

- *Chronicle*, p.88; *Chronicle of Seert (Histoire Nestorienne)*. Edition Addai Scher, Patrologia Orientalis 7. Paris, 1911, p. 183. Cf. also "Justinianic Plague,", p. 7; *Encyclopedia of Plague*, p. 217. (45)

Wars, vol. 1, p. 463. Cf. also *Later Roman*, vol. 2, p. 64. (46)

- *Wars*, vol. 1, p. 463, 465. Cf. also *Later Roman*, vol. 2, p. 64; *A Disastrous History*, p. 108. (47)
- W. Moss, Sandra. "Bubonic Plague". *Encyclopedia of Pestilence, Pandemics, and Plagues*. Edition Joseph P. Pyrne. Greenwood press, 2008, p. 74. (48)

(49) - "Justinianic Plague,", p. 9.

(50) - Harbeck et al., "Yersinia Pestis DNA from Skeletal Remains from the 6th Century AD Reveals Insights into Justinianic Plague," *PLOS Pathogens* 9, no. 5, 2013: e1003349, https://doi.org/10.1371/journal.ppat.1003349.

(51) - David M. Wagner et al., "Yersinia Pestis and the Plague of Justinian 541–543 AD: A Genomic Analysis," *The Lancet Infectious Diseases* 14, no. 4, 2014, pp. 319–326.

(52) - "Mediterranean Plague.", p. 153.

(53) للمزيد من التفاصيل عن هذه الكوارث، وخاصة ظاهرة عام 536م وأقوال المؤرخين فيها وتفسيرها راجع : عبد المجيد، موسى : **الكوارث الطبيعية في الإمبراطورية البيزنطية** (284–610م)، (ماجستير غير منشورة)، المنيا : جامعة المنيا، 2015، ص 162–165.

(54) - "The Sixth-Century Plague.", pp. 2,3.

(55) - *Wars*, vol. 1, p. 465; C.f. also, *Rats*, p. 146; *Later Roman*, vol. 2, p. 64; Russell, Josiah C. "That Earlier Plague". *Demography* 5, no. 1, 1968, p. 180; *Economy and society*, p.218; *Encyclopedia of Plague*, p. 217.

(56) - *Chronicle*, pp. 86-87;

وتاريخ ميخائيل السرياني، ص 122.

(57) - *Chronicle*, p. 89.

(58) - *A Disastrous History*, p. 110.

(59) - "The Sixth-Century Plague.", p. 4.

(60) - Mango, Cyril. *Le Développement Urbain de Constantinople: IVe-VIIe Siècles*. De Boccard, 2004, p. 51.

(61) - "The Plague.", p. 435; Stathakopoulos, Dionysios. "Crime and Punishment: The Plague in the Byzantine Empire, 541–749". *Plague and the End of Antiquity*. Edition Lester K. Little. Cambridge, 2007, p. 115.

(62) - Jones, M. *The Later Roman Empire (*284-602*): A Social Economic and Administrative Survey*. Blackwell, 1964, vol. 2, p. 1040.

(63) - "The Sixth-Century Plague.", p. 4.

(64) عن رأي جين دورليات راجع :

Sarris, Peter. "Bubonic Plague in Byzantium : The Evidence of the Non-Literary Sources". *Plague and the End of Antiquity*. Edition Lester K. Little. Cambridge, 2007, p. 125.

(65) - Foss, Clive. "Syria in Transition, A. D. 550-750: An Archaeological Approach". *Dumbarton Oaks Papers*. 1997: pp.189–269, esp. p. 260.

(66) - Brandes, Wolfram. "Byzantine Cities in the Seventh and Eighth Centuries-Different Sources, Different Histories?". *The Idea and Ideal of the Town between Late Antiquity and the Early Middle Ages*. Edition G.P. BROGIOLO and Bryan Ward-Perkins. Leiden, Boston, Köln: Brill, 1999, pp. 25–57, esp. pp. 32-33.

(67) - Di Segni, Leah. "Epigraphic Documentation on Building in the Provinces of Palaestina and Arabia, 4th-7th c". *Journal Of Roman Archaeology-Supplementary Series.* 1999, pp. 149–78.

(68) - Kennedy, David. *Gerasa and the Decapolis: A "Virtual Island" in Northwest Jordan.* London: Duckworth, 2007, pp. 123-125.

(69) *Wars*, vol. 1, p. 467, 469; *Chronicle*, p. 87.

(70) *Chronicle*, p. 91;

وتاريخ ميخائيل السرياني، ص 123.

(71) - *Wars*, vol. 1, pp. 467-469; *Chronicle of Seert*, Patrologia Orientalis 7, p. 185. Cf. also *Later Roman*, vol. 2, p. 65; *Empress Theodora*, p. 59; *Age of Justinian*, p. 163; G. Morony, Michael. "'For Whom Does the Writer Write?' The First Bubonic Plague Pandemic According to Syriac Sources'". *Plague and the End of Antiquity.* Edition Lester K. Little. Cambridge: Cambridge University Press Cambridge, 2007, p. 75.

(72) - *Chronicle*, pp. 88-89.

(73) *From Rome to Byzantium*, pp. 290-291.

(74) - Benovitz, Nancy. "The Justinianic Plague: Evidence from the Dated Greek Epitaphs of Byzantine Palestine and Arabia". *Journal of Roman Archaeology* 27, 2014, pp. 487–98.

(75) يذكر البعض أن أربعة نقوش جنائزية وُجدت في نيسانا Nessana، إحدى أكبر المدن في منطقة صحراء النقب Negev في فلسطين، مؤرخة بين 27 أكتوبر و4 نوفمبر 541م، تبين أنه في أقل من عشرة أيام دُفن ستة أشخاص (أحد شواهد القبور، رقم 112، وضع لثلاثة أشقاء) بمعدل عمر بين ستة وعشرين وثمانية وعشرين. وهم لم يعانوا من موت عنيف، أو تشاركوا جميعاً المرض نفسه. لكن كل شيء يرمى في صالح أن وباء كان سبب الموت، لكن لا يمكن أن ندعي أن هؤلاء كانوا ضحايا الطاعون، لكن لنأخذ هذا في الاعتبار. انظر:

"Travelling with the Plague.", p. 100.

(76) على سبيل المثال مات في لندن في طاعون الموت الأسود 100000، وفى البندقية 100000، وفي أفينون 60000. انظر: *Later Roman*, vol. 2, p. 65.

(77) - Meier, Mischa. "Perceptions and Interpretations of Natural Disasters during the Transition from the East Roman to the Byzantine Empire," *The Medieval History Journal* 4, no. 2. October 1, 2001, pp. 184-186.

"Crime and Punishment:,", p. 109. (78)

- Joshua the Stylite. *The Chronicle of Pseudo-Joshua the Stylite*. Translated by Frank R. Trombley and John W. Watt. Liverpool University Press, 2000, p. 51. (79)
- *Chronicle*, p. 286-287. (80)
- *Wars*, vol. 1, p. 453. (81)
- *Chronicle*, pp. 81-84, Cf. also *Crisis management*, p. 85. (82)
- Procopius of Caesarea. *The Secret History: With Related Texts*. Translated by Anthony Kaldellis. Indianapolis/Cambridge: Hackett Publishing Company, Inc., 2010, pp. 85-86. Cf. also Cameron, Averil. *Procopius and the Sixth Century*. London and New York: Routledge, 1996, p. 59. (83)
- *Wars*, vol. 1, pp. 469-471. (84)
- *The Novels of Justinian: A Complete Annotated English Translation,* Translated by David J. D. Miller and Peter Sarris. Cambridge University Press, 2018, vol. 1, pp. 539-549. (85)

Wars, vol. 1, p. 188. (86)

- L. Teall, John. "The Barbarians in Justinian's Armies". *Speculum* 40. no. 2. 1965, p. 319; K. Little, Lester. "Life and after Life of the First Plague Pandemic (Article in Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541-750)". *Plague and the End of Antiquity*. Edition Lester K. Little. Cambridge, 2007, p. 24. (87)
- *Byzantine state and society*, p. 199. (88)
- E. Laiou, Angeliki, and Cécile Morrisson. *The Byzantine Economy*. Cambridge Medieval Textbooks. Cambridge: Cambridge University Press, 2007, p. 24. (89)
- Agathias. *The Histories*. Translated by Joseph D. Frendo, Corpus Fontium Historiae Byzantinae. New York: Walter de Gruyter, 1975, p. 148. Cf. also *The Later Roman*, vol. 2, p. 684. (90)
- Lee, A. D. "The Empire at War". *The Cambridge Companion to the Age of Justinian*. Edition Michael Maas. Cambridge: Cambridge University Press, 2005, p. 118. (91)
- "That Earlier Plague.", p. 182. (92)
- *Ecclesiastical History*, p. 282. (93)
- "Justinianic Plague,", p. 18. (94)
- "Bubonic Plague .", p. 131. (95)
- "That Earlier Plague.", p. 174, 182. (96)
- Biraben, J.-N., and Jacques Le Goff. "La Peste Dans Le Haut Moyen Age". *Annales. Histoire, Sciences Sociales* 24. no. 6. 1969, p. 1508. (97)

(98) - "The Epidemic of Justinian.", p. 126.

(99) - "Mediterranean Plague.", p. 153.

(100) - M. Donner, Fred. "The Background to Islam". *The Cambridge Companion to the Age of Justinian*. Edition Michael Maas. Cambridge: Cambridge University Press, 2005, p. 519.

(101) الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب. ص 237.

(102) رنسيمان، ستيفن: **الحضارة البيزنطية**، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010، ص 144.

(103) العريني، السيد الباز: **الدولة البيزنطية** 323–1081م، بيروت: دار النهضة العربية، 1982، ص 124–128.

(104) - W. Treadgold. *Byzantium and Its Army,* 284-1081. Stanford University Press, 1995, p. 64.

(105) - *Byzantium and Its Army*, p. 147.

(106) سالم، السيد عبد العزيز: **تاريخ الدولة العربية**، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د.ت، ص 205.

(107) *Chronicle*, p. 414.

(108) - "That Earlier Plague.", p. 182.

(109) الحضارة البيزنطية، ص 101.

(110) - *Secret History*, pp. 97-99.

(111) - *Secret History*, p. 103.

(112) - *Secret History*, p. 112.

(113) - *Byzantine state and society*, p. 199.

(114) - *Byzantine Empire*, p. 162.

(115) الفلس كانت قيمته 24/1 من الميلياريزيون miliaresion، وكان يساوي 288/1 من الصولد. انظر:
Rosser, J. H. *Historical Dictionary of Byzantium*. Scarecrow Press, 2001, p.156.

(116) - *Chronicle*, p. 88.

(117) - *Chronicle*, p. 91.

(118) تاريخ ميخائيل السرياني، ص 125.

(119) - *Chronicle*, p. 94.

(120) - Patlagean, É. *Pauvreté Économique et Pauvreté Sociale à Byzance: 4e-7e Siècles*. Civilisations et Sociétés 48. Paris, 1977, p. 172.

(121) - *The Novels of Justinian*, vol. 2, pp. 779-780.

(122) - Koder, Johannes. "Stew and Salted Meat – Opulent Normality in the Diet of Every Day?". *Eat, Drink, and Be Merry (Luke* 12:19*) – Food and Wine in Byzantium Papers of the* 37*th Annual*

Spring Symposium of Byzantine Studies, In Honour of Professor A.A.M. Bryer. Edition Kallirroe Linardou and Leslie Brubaker. Ashgate, 2007, p. 63.

(123) - Malalas, *Chronicle*, p. 287.

(124) - Theophanes, *Chronicle*, p. 326.

(125) - "Justinianic Plague,", p. 16.

(126) - Malalas, *Chronicle*, p. 295; Theophanes, *Chronicle*, p. 337.

(127) تاريخ ميخائيل السرياني، ص 127.

(128) - Secret History, p. 104.

(129) - Age of Justinian, p. 164.

(130) - *Later Roman Empire*, vol. 2, p. 350.

(131) - *Secret History*, p. 101.

(132) للمزيد راجع:

M. Metcalf, David. "The Metrology of Justinian's Follis". *The Numismatic Chronicle and Journal of the Royal Numismatic Society.* 1960, pp. 209–19.

(133) - "Bubonic Plague .", p. 129.

(134) - *Wars*, vol. 1, p. 471.

(135) تاريخ ميخائيل السرياني، ص 122.

(136) - *Chronicle*, p. 88.

(137) - Rautman, M. L. *Daily Life in the Byzantine Empire*. Greenwood Press, 2006. p. 78.

(138) - Malalas, *Chronicle*, p. 287.

(139) - *Wars*, vol. 1, p. 469.

(140) - *Wars*, vol. 1, pp. 467-469.

(141) - Dionysius of Tel-Mahre, *Chronicle*, pp. 97-98;

تاريخ ميخائيل السرياني، ص 124.

(142) تاريخ ميخائيل السرياني، ص 124.

(143) - Dionysius, of Tel-Mahre, *Chronicle*, pp. 79-80؛

تاريخ ميخائيل السرياني، ص 127.

(144) - Leppin, Hartmut. "Roman Identity in a Border Region: Evagrius and the Defence of the Roman Empire". *Visions of Community in the Post-Roman World The West, Byzantium and the Islamic World,* 300–1100. Edition Walter Pohl, Clemens Gantner, and Richard Payne. Ashgate, 2012, pp. 241–58.

- *Ecclesiastical History*, p. 231. (145)
- Evagrius, *Ecclesiastical History*, p. 315-316; *La vie ancienne de S. Syméon Stylite le jeune* (146)
*(*521-592*)*. Edition P. van den Ven, 2 toms. Brussels: Société des Bollandistes, 1962, tom. 2, p. 235.
- *La vie ancienne de S. Syméon Stylite le jeune (*521-592*)*, tom. 2, p. 236. (147)
- Dionysius of Tel-Mahre, *Chronicle*, pp. 77-79. (148)

أبحاث التاريخ الحديث